

سورة الإسراء

﴿الآيات: 26 - 30﴾

الدرس

8

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف بعض حقوق الأقارب والمساكين وأبناء السبيل.
- 2- أن أستنتج من الآيات بعض الضوابط الشرعية لإنفاق المال.
- 3- أن ألتزم التوسط والاعتدال في إنفاق المال.

تمهيد

لما أمر تعالى ببر الوالدين والإحسان إليهما، أتبع ذلك بالأمر بالإحسان إلى الأقارب الذين تجمعهم مع بعضهم رابطة القرابة، وإلى المساكين وأبناء السبيل الذين هم في أمس الحاجة إلى المساعدة لفقرهم وحاجتهم وعدم وجود من يعولهم. ثم أتبع ذلك بالنهاي عن التبذير؛ لما فيه من مفسد على الأفراد والمجتمع.

فما هي حقوق الأقارب والمساكين وأبناء السبيل؟ وما الطرق الشرعية لإنفاق المال؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَأَاتِ ذَا الْفَرْقِ حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ رِبًّا²⁶ ۚ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا²⁷ ۚ وَإِذَا تَعَرَّضْتُمْ لِلْعُقُودِ ارْحَمُوا مِن رَّبِّكُمْ تَرْجُوْنَ أَفْعَلْ لِلْعَمِّ قَوْلًا مَّيْسُورًا²⁸ ۚ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ رُغْمَيْكَ وَلَا تَبْسُكْهَا كَلَّ الْبَسْكِ ۖ فَتَفْعَدَ مَلُومًا فَخَسُورًا²⁹ ۚ

إِنَّ رَبَّآيَسُكُّهُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيُعْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾

[سورة الإسراء: 26 - 30]

الفهم

الشرح :

- وَلَا تُبَدِّرْ : التبذير إنفاق المال في فساد أو في سرف في مباح.
 مَغْلُولَةً : مقيدة بالغل، وهو القيد الذي يوضع في اليدين.
 وَلَا تَبْسُطْهُمَا : ولا تتوسع في الإنفاق إلى درجة السرف.
 فَعُسُورًا : هو المنفق الذي قد استنفدت قوته.
 وَيُعْدِرُ : يضييق.

استخلاص المضامين :

1- ما هي الفئات التي أمر الله عز وجل بإعطائها حقها؟

2- كيف ينبغي للإنسان أن ينفق ماله؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: الحث على أداء حقوق الأقارب والمساكين وأبناء السبيل:

بعد أن أمر الله عز وجل بالإحسان إلى الوالدين، عطف على ذلك أمره بالإحسان إلى الأقارب والمساكين وأبناء السبيل، قال تعالى: ﴿وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ كَاذِبُونَ﴾. وقد اختلف المفسرون في المخاطب بالآية على قولين:

القول الأول: وهو قول الجمهور: أن الآية وصية للناس كلهم بصلة قرابتهم، خوطب بذلك

النبي ﷺ والمراد الأمة، والمقصود بالحق في هذه الآية ما يتعين لذي القربى من صلة رحم ومعونة وسد خلة ومواساة بالمال عند الحاجة، وليس النفقة المستمرة؛ لأنها لا تجب في المذهب المالكي إلا للأبناء والوالدين إذا كانوا فقراء.

القول الثاني: أنه خطاب للرسول ﷺ خاصة، فأمره الله أن يؤتي أقاربه الحقوق التي وجبت لهم من بيت المال، كما أوجب عليه أيضا إخراج حق المساكين وأبناء السبيل. قال ابن عطية: والقول الأول أبين، ويعضده عطف المسكين وابن السبيل. أما ﴿الْمُسْكِينِ﴾ فهو الذي لا يجد قوته ولا قوت عياله، فتعطاه الصدقة وما يحتاج إليه ليفي بقوته وقوت أسرته.

وأما ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ هنا فيعم الغني والفقير؛ إذ لكل واحد منهما حق وإن اختلفا.

ثانيا: الآداب الشرعية لإنفاق المال:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْدِيرًا﴾ التبذير إنفاق المال في فساد أو في سرف في مباح. قال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا، ولو أنفق مدا في غير حق كان مبذرا. وقال قتادة: التبذير النفقة في معصية الله تعالى وفي غير الحق والفساد.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ هذا تعليل للنهي، وهو غاية في الذم والتقيح أي: إن المبذرين كانوا أمثال الشياطين وأشباههم في الإفساد؛ لأنهم ينفقون في الباطل وينفقون في الشر والمعصية فهم أمثالهم.

ويحتمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ﴾ أن يكون اسم جنس، ويحتمل أن يعني أهل مكة خاصة، ذكره أبو بكر النقاش.

وقوله تعالى: ﴿كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ يعني أنهم في حكمهم؛ إذ المبذر ساع في فساد والشيطان أبدا ساع في فساد. وإخوان جمع أخ من غير النسب، وقد يشذ، ومنه قوله تعالى في سورة النور ﴿أَوْ إِخْوَانِهِمْ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِمْ﴾ [النور: 31] والإخوة جمع أخ في النسب؛ وقد يشذ، ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10].

ثم ذكر تعالى كفر الشيطان ليوقع التحذير من التشبه به في الإفساد مستوعبا بينا ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ أي: جودا؛ لأنه أنكر نعمة الله عليه فأقبل على معصيته ومخالفته.

وقوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ إِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّنَعْمَ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾، الضمير في ﴿عَنْهُمْ﴾ عائد على من تقدم ذكره من المساكين وبني السبيل، فأمر الله تعالى نبيه في هذه الآية إذا سألهم أحد فلم يجد عنده ما يعطيه فقابله رسول الله ﷺ بالإعراض تأدبا منه في أن لا يرده تصریحا وانتظار الرزق من الله تعالى يأتي فيعطي منه، أن يكون يؤنسه بالقول الميسور، وهو الذي فيه الترجية بفضل الله تعالى والتأنيس بالميعاد الحسن والدعاء في توسعة الله تبارك وتعالى وعطائه. وروي أنه ﷺ كان يقول بعد نزول هذه الآية إذا لم يكن عنده ما يعطي: "يرزقنا الله وإياكم من فضله". وعلى هذا قيل: إن الآية نزلت في عمار بن ياسر وصنفه. والمراد بالرحمة على هذا التأويل الرزق المنتظر، وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة. وقال ابن زيد: الرحمة الأجر والثواب، وإنما نزلت الآية في قوم كانوا يسألون رسول الله ﷺ فيأبى أن يعطيهم؛ لأنه ﷺ كان يعلم منهم نفقة المال في فساد، فكان يعرض عنهم رغبة الأجر في منعهم؛ لئلا يعينهم على فسادهم، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم قولا ميسورا يتضمن الدعاء في الفتح لهم والإصلاح.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ رَعِيكَ وَلَا يَبْسُطَ يَدَاكَ إِلَىٰ النَّاسِ وَتَفْغَمَ مَلُومًا مَّعْسُورًا﴾ استعير الغل إلى العنق لليد المقبوضة عن الإنفاق جملة المتصفة بالبخل، واستعير البسط لليد التي تستنفذ جميع ما عندها غاية، وهو ضد الغل. وكل هذا في إنفاق الخير، وأما إنفاق الفساد فقليله وكثيره حرام. وهذه الآية ينظر إليها قول النبي ﷺ: "مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده، حتى تخفي بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها ولا تتسع" [صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب مثل المتصدق والبخيل] وقال ابن جريج وغيره في معنى هذه الآية: لا تمسك عن النفقة فيما أمرتك به من الحق، ولا تبسطها كل البسط فيما نهيتك عنه.

قال ابن عطية: وإنما نهت هذه الآية عن استقراغ الوجد فيما يطرأ أولاً من سؤال المؤمنين؛ لئلا يبقى من يأتي بعد ذلك لا شيء له، أو لئلا يضيع المنفق عيالا ونحوه. ومن كلام الحكمة: ما رأيت قط سرفا إلا ومعه حق مضيع. وهذه من آيات فقه الحال، ولا يبين حكمها إلا باعتبار شخص من الناس.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: كن أنت يا محمد على ما رسم لك من الاقتصاد وإنفاق القوام ولا يهمنك فقر من تراه كذلك؛ فإنه بمرأى من الله ومسمعه وبمشيئته. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ أي: إن الله يعلم مصلحة قوم في الفقر ومصلحة آخرين في الغنى. وقال بعض المفسرين وحكاه الطبري: إن الآية إشارة إلى حال العرب التي كانت يصلحها الفقر، وكانت إذا شبت طغت وقتلت غيرها وأغارت، وإذا كان الجوع والقحط شغلهم.

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى تحقيق جملة من المقاصد التربوية، منها:

- الحث على التكافل الأسري والمجتمعي والتضامن الإنساني من خلال الإحسان إلى ذوي القربى ثم المساكين ثم أبناء السبيل.
- التأكيد على حقوق الناس، وأن في مال الأغنياء حقوقا سوى الزكاة، فقد جمع الله تعالى في آية واحدة ثلاثة حقوق مرتبة: حق القريب، وحق المسكين، وحق ابن السبيل؛ لأن المسكين في الغالب يكون ابن بيتك، وابن السبيل غريب، فحق القريب مقدم، ثم ابن القرية والمدينة التي تسكنها، ثم المسافرين الغريب.
- النهي عن التبذير في إنفاق المال في المباح، أو إنفاقه في غير مصلحة؛ والنهي عن البخل والتقتير، لأن كل ذلك مخالف للشرع؛ فالمال مال الله؛ والإنسان إنما هو مستخلف فيه، فينبغي أن ينفقه كما يأمر به الله الذي استخلف فيه الإنسان.

• أن إنفاق المال في سبيل الله وفي وجوهه المشروعة هو من شكر نعم الله على الإنسان، ومنها المال نفسه الذي هو مال الله الذي استخلف فيه الإنسان لينفقه على الوجه المشروع وقادر على منعه، فهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويضيقه عن يشاء لحكمة يعلمها سبحانه.

التقويم

- 1 - ما هي الحقوق التي أمر الله سبحانه بإعطائها لذوي القربى والمساكين وأبناء السبيل؟
- 2 - ما هي الطرق الشرعية لإنفاق المال ؟
- 3 - لماذا اهتم الإسلام بطرق اكتساب المال وإنفاقه؟

الاستثمار

قال الإمام الطبري رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ رَعِيكَ وَلَا يَبْسُطَ يَدُهُ عَلَيْكَ وَلَا تَتَّقُوا الْبَيْسَ﴾: " وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْمُمْتَنِعِ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي الْحُقُوقِ الَّتِي أَوْجَبَهَا فِي أَمْوَالِ ذَوِي الْأَمْوَالِ، فَجَعَلَهُ كَالْمَشْدُودَةِ يَدُهُ إِلَىٰ عُقْبِهِ، الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى الْأَخْذِ بِهَا وَالْإِعْطَاءِ ". [جامع البيان للطبري: 433/17].

تأمل النص وأجب عما يأتي:

- 1 - أبرز الوجه البلاغي الوارد في الآية.
- 2 - أستثمر مكتسباتي في الفقه لأبين الحقوق التي أوجبها الله تعالى في المال، وآثارها الإيمانية والاجتماعية والاقتصادية.
- 3 - أتحدث من خلال مكتسباتي عن خلقي الجود والبخل، مستحضرا بعض النصوص القرآنية والحديثية والأدبية في هذا الموضوع.

أتأمل الآيات: 31 - 33 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: - خَشْيَةً إِمْلَؤْ - خِصْصَ - فَلِحِشَةٍ - فَلَا يُسْرَ - مَنُصُورًا .

2 - أبحث عن الحق في الحياة في الشريعة الإسلامية انطلاقاً من الآيات موضوع الدرس المقبل.

3 - أوضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَرَفْتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ، سُلْطَانًا فَلَا يُسْرَ فِي الْقَتْلِ﴾ مستعينا بمكتسباتي النحوية والبلاغية.